

في منعة من قومه، وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم (ان لا تخرق له العادة في الغالب بغير عصبية).

ويقول عن الدينين الذين لا يدركون أهمية رابطة العصبية في نجاح الحركات السياسية: «ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فإن كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك.. وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر، كما قدمنا، وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب، وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء، لكنه أجرى الأمور على مستقر العادة والله حكيم عليهم».

ما أشبه الليلة بالبارحة.. كأن الرجل يشخص الأوضاع العربية الإسلامية اليوم.. ويأسي هذه القطيعة بين المثل الدينية والقانون الطبيعي الذي قرره الله، أعني قانون الروابط الطبيعية بين البشر ولكن لنبق حيث نحن مع نصوص المقدمة، فما يزال فيها الكثير من الحكمة لسائر الأطراف المعنية!

بعد أن يقدم ابن خلدون أمثلة على إخفاق حركات الفقهاء والصوفية التي لم تعتمد على عصبية طبيعية اجتماعية يخلص إلى التذكير والتحذير من سلوك طريق التهلكة دون بصيرة واقعية: (وأمثال ذلك كثير، والغلط فيه: من الغفلة اعتبار العصبية في مثلها) - إي إغفال دور الرابطة الطبيعية الاجتماعية في مثل هذه الحركات.

ثم ينتقل ابن خلدون إلى تقرير (الوجه الآخر) من هذه الحقيقة، بعد أن قرر وجهها الأول، بمنهج المتكامل في النظر دائما إلى وجهي المسألة. (وهو المنهج الذي يفتقر إليه العقل العربي العام في الأغلب حتى يومنا هذا رغم انه أنجب مفكرا في مستوى ابن خلدون).

الدعوة الدينية تزيد الدولة قوة

يقول تحت عنوان: (ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها في عددها) موضحا كيف تسمو القيم الروحية بالرابطة الاجتماعية